

اسم البرنامج: في العمق

عنوان الحلقة: ثقافة النخب وثقافة الجماهير والتحول الديمقراطي

مقدم الحلقة: علي الظفيري

ضيف الحلقة: عزمي بشارة/مدير المركز العربي للأبحاث

تاريخ الحلقة: 2014/3/31

المحاور:

- الإدعاء بعدم أهلية الحالة الشعبية العربية للديمقراطية
- جمهور عربي متحمس للديمقراطية
- قبول الآخر المختلف ومحك الممارسة
- ثقافة النخبة وعلاقة الثقافة بالديمقراطية
- سياسة إقصاء الأحزاب لبعضها البعض
- محاولات شيطنة الثورات
- النخبة ومسؤولية تعثر المسار الديمقراطي
- انتهازية التيارات الليبرالية

علي الظفيري: أهلاً بكم مشاهدينا الكرام طابت أوقاتكم بكل خير. في العمق يبحث الليلة في الثقافة السياسية الديمقراطية في العالم العربي وتعثر عملية التحول الديمقراطي مع الدكتور عزمي بشارة مدير المركز العربي للأبحاث، مرحباً بك دكتور، نلتقيك بعد فترة انقطاع طويلة، أظن آخر مرة التقيتك بها في العمق كانت بعد الانقلاب الذي حدث في مصر.

عزمي بشارة: بعده بيومين تحديداً، مع ذلك الناس تعتقد أنني أعمل بالجزيرة.

علي الظفيري: طيب أنا أظن أنه هذا حدث مفصلي ما جرى في مصر وكان له أثره على الجميع على العملية السياسية على الحالة الديمقراطية الحالة الثورية وعلى المثقفين

أيضاً وأنت أحدهم، يعني هذه فترة الانقطاع أو ربما حالة الإحباط العام التي شهدناها كانت مرتبطة بما جرى في يوليو، اليوم نحن في أي حال تحديداً قبل أن نخوض في موضوع حلقة الليلة في أي وضع نحن في العالم العربي دكتور؟

عزمي بشارة: نحن في مرحلة انتقالية، واضح أن المراحل الانتقالية في التاريخ هي مراحل الأزمات الكبرى، نحن في مرحلة انتقالية ممتدة طويلة لأن النخب السياسية لم تتقن عملية التحول الديمقراطي أو اختارت الطريق الطويل إليها وليس طريق الاتفاق على مبادئ الديمقراطية وبالتالي طريق الصراع وأيضاً القوى الرجعية المعادية للديمقراطية تستعيد صفوفها وتراجع حساباتها والقوى الديمقراطية أيضاً تراجع حساباتها، تراجع سذاجتها وبراءتها وابتعادها عن أحابيل السياسة في البداية، ولكن في أمر أساسي حصل وهو إنه بذرة الديمقراطية بدء التطلع إلى الحرية والكرامة الإنسانية ورفض العنف الجسدي ورفض تعسف السلطات والمطالبة بالعيش الكريم سقطت في تربة خصبة ولا توجد قوى في العالم تستطيع أن تخنق هذا التطلع الحالي لدى جيل كامل خرج وألهب حماسه وحماس أهله وحماس العالم بأجمع وألهب خيال الناس حتى ولكن الأمر سيحتاج كما يبدو إلى بعض الوقت ولكني واثق كما أراك الآن إنه هذا الجيل الذي رأيناه في الميادين عام 2011 طول عام 2011 هو الجيل الذي سيحكم العالم العربي جيل من المواطنين سيتنافس على السلطة في العالم العربي بعد حين ولكن هذه مسألة كما يبدو تحتاج إلى وقت.

علي الظفيري: طيب في نقاش عام قبل أيام كان حديث حول هذه المسألة وأيضاً قبل الخوض بشكل تفصيلي في موضوع الليلة أنه كأننا بنتنا اليوم أبعد عن حلم الديمقراطية مما كنا عليه قبل أو في بداية هذه الثورات، يعني عملية الانقسام التي حدثت وما قامت به الأنظمة وما أحدثته عملية الثورة المضادة كأنها أبعدتنا أكثر مما كنا عليه في السابق عن هذا الحلم الديمقراطي وإتمام عملية التحول هل هذا دقيق دكتور؟

عزمي بشارة: لا نحن أقرب الآن من أي وقت مضى إذا قارنت من قبل 3 أعوام كيف كان الشعور تجاه قضية الديمقراطية، ربما كنا قلائل نغرد خارج السرب أو يعتبر الكلام ضرب من الخيال أو من الجنون حتى الحديث عن تحول ديمقراطي أو ثورات، الآن أصبح موضوعا وليس موضوعا فقط بل يناقش من قبل الجميع حتى القوى الرجعية أو القوى السلطوية الاستبدادية مستعدة أن تظهر بالمظهر الديمقراطي أو من يريد إصلاحات أو من يقيم عمليات انتخابية ويبحث عن مرشحين، يعني الموضوع يختلف

بالمنطقة الآن حتى الاستبداد يحاول أن يلبس لبوس الديمقراطية وإنه يريد إصلاحاً وكذا، هذا موضوع أصبح الآن مفروغ منه ولذلك نحن أقرب من أي وقت مضى، لغة الخطاب، لغة الخطاب، لغة المحاجبة الآن أصبحت لغة مختلفة تماماً، الجميع يحاول أن يخاطب الرأي العام أن يتحدث معه، طبعاً هذا ينتج الثقافة الشعبوية محاولات مرآة وتملك الرأي العام وتحريضه وإلى آخره وإثارة الإشاعات والأكاذيب وكل هذا نعم سنمر بمثل هذه المرحلة القصيرة من الانحطاط السياسي لأن قوى الثورة المضادة سوف تستخدم من يقتل يثير الشائعات، يعني من هو مستعد للقتل مستعد لإثارة الشائعات والكذب وإلى آخره لكن هذه مرحلة لا شك إننا سنمر فيها، لكن أريد أن أقول لك الديمقراطية ليست حلماً، طبيعة الأحلام بالسياسة أنها تنزع للتحوّل إلى كوابيس، الديمقراطية برنامج سياسي عملي واقعي لا بد أن يتلخّص وأن يتعثر بتراب الواقع، أن يبقى حلماً جميلاً لا، لأن طبيعة الحال أن يتحوّل إلى كابوس، أنت رأيت الشباب الحاليين بالديمقراطية الذين لم يريدوا خوض العمل السياسي، فقط اعتقدوا أنه بإسقاط رئيس ستتحوّل البلد من ذاتها ويتحقّق الحلم، تحوّل الأمر إلى كابوس، الديمقراطية برنامج سياسي، هنالك قوانين للتحوّل الديمقراطي، هنالك خطوات يجب اتخاذها.. الخ، المسألة ليست حلماً يتحقّق.

علي الظفيري: حينما أتحدث عن الثقافة السياسية وتحديداً الثقافة السياسية الديمقراطية ما هي عناصر هذه الثقافة ماذا تتضمن؟ ومن ثم أسألك حول حال هذه الثقافة السياسية اليوم في عالمنا العربي؟

عزمي بشارة: علي، موضوع الثقافة السياسية الديمقراطية لا يوجد تعريف له، كل المحاولات التي كانت في الماضي باءت بالفشل، المحاولات النظرية يعني أول محاولات نعرفها في تاريخ العلوم السياسية شهيرة مؤلفين معروفين اثنين ألمان أند فيربا كتبوا the civic culture عام 1963 ثم عادوا راجعوه مرتين على الأقل، ومنذ تلك الفترة لم تتوقف الكتابة عما يسمى الثقافة المدنية لتقال الثقافة المساندة للديمقراطية وليس الثقافة الديمقراطية هي الثقافة التي وجودها يساند ديمومة نظام ديمقراطي، لا يحول لنظام ديمقراطي، يعني مرة أخرى لا توجد ثقافة تدفع للديمقراطية، توجد ثقافة تساند وتعزز النظام الديمقراطي أن يعيد إنتاج نفسه ولكن الثقافة لا تصنع التحوّل، يعني لا توجد ثقافة تصنع تحولا ديمقراطياً..

علي الظفيري: وليست شرطاً له.

عزمي بشارة: لا لا ما فيش، طبعاً شرط أن يكون هناك ديمقراطيون وليس أن تكون هنالك ثقافة شعبية ديمقراطية. لا توجد دولة في العالم كانت فيها ثقافة شعبية ديمقراطية ثم انتصرت الديمقراطية، النظام الديمقراطي هو الذي ينتج ثقافة ديمقراطية ويعممها، يعني لا تتعمم الثقافة الديمقراطية على مستوى الشعوب إلا بعد أن يقوم النظام الديمقراطي ويتحقق، ولكن المرحلة الأولى مرحلة الانتقال، أنا برأيي طبعاً يختلف معي آخرون إنه تلزمها نخبة ديمقراطية وإن لم تكن لها ثقافة سياسية على الأقل قادرة على الـ bargaining المساومة السياسية بحيث تستطيع أن تلعب لعبة تعددية ليست حصيلتها صفراً، أنا أريد أن أشرح إذا سمحت..

علي الظفيري: هذا ما تراه أنت.

عزمي بشارة: أريد أن أشرح، هنالك نحن نقول zero sum game الناس لا تفهمها تماماً، يكررها البعض دون أن يشرحها، لعبة صفرية يعني إذا أنا حصلت نقطتين أنت تخسر نقطتين، المجموع يكون دائماً صفراً، إذا أنا زادت ثروتي وكذا أنت تنقص ثروتك، إذا أنا إنجازاتي السياسية زادت أصوات أنت تنقص أصواتك، دائماً مجموع ما نحصله يكون صفراً، هذه نسميها لعبة صفرية، يعني الرابح أمامه خاسر بنفس المقدار، الديمقراطية لا تقوم على هذا إطلاقاً وإنما بالقدرة على المساومة بحيث يخرج الجميع رابحاً بأن هنالك تعددية سياسية تضمن أنه في المستقبل أنت خسرت أنت ممكن أن تربح الانتخابات في المستقبل ثم تكسب الحريات السياسية أو على الأقل نحقق نوعاً من الوحدة الوطنية وبدل أن تخسر كل السلطة تحصل على نصيب في السلطة، نصيب بالسلطة عبر معارضة لها حصانة برلمانية عبر كذا لكن كل طرف في النظام الديمقراطي له نصيب ما في هذه اللعبة الديمقراطية التعددية.

علي الظفيري: لا توجد الحالة الصفرية؟

عزمي بشارة: الحالة الصفرية هي الحالة الإلغائية الاقصائية اللي نحن نعتقد إنه يعني لا يمكن من خلالها تحقيق نظام ديمقراطي في ظل ما يسمى دولة وإنما تؤدي إلى التفكك وهي العقلية التي تشبه كثيراً الصراع العشائري أو الصراع القبلي أو الصراع كذا.. اللي لا يمكن أن يقبل أحد أن يحكمه الآخر لأن النتيجة ستكون الإلغاء ولذلك تفضل حكم الأجنبي مثلاً على أن يحكمها أحد من الآخر، نفضل أي شيء على أن يحكم لأن أي واحد يحكم الآخر سيكون إلغاءً كاملاً، لا توجد هذه المحاولة في المساومة والتعايش سوية في ظل وحدة نتفق عليها جميعاً ولا نمس بها اسمها الكيان الوطني السيادة الكاملة

للدولة.. الخ. الآن أنا أقول إنه في مرحلة التحول الديمقراطي على الأقل يجب أن تكون هناك نخبة من الديمقراطيين تؤمن في الديمقراطية فعلاً مثل النخب اللي كتبت إعلان الاستقلال الأميركي أو اللي بالتدريج تدرجت على الديمقراطية في الثورة الفرنسية أو النخب التي جاءت جاهزة تقريباً في وسط أوروبا بعد انهيار جدار برلين، هذه النخب تؤمن بالديمقراطية، إذا لم تؤمن بالديمقراطية يجب على الأقل أن تقبل أن يكون لديها القابلية للمساومة، للـ bargaining وهذا طبعاً في حالتنا لم يحصل، ما أقوله يعني لا أريد أن أدخل في كل موضوع ثقافة النخبة، ما أريد أن أقوله هو أنه لم يوجد مكان في العالم كانت فيه ثقافة الجماهير العامة ثقافة ديمقراطية، إيمان بحقوق المواطن، تقبل الآخر، معرفة حدود واجبات وحقوق المواطن، حدود حرية التعبير، الإيمان بالمؤسسات وليس بالاستنزلام، الإيمان بالتساوي بين البشر والاختلاف في الوقت ذاته، هذه طبعاً تأخذ وقتاً إلى أن يفرض النظام الديمقراطي نفسه، ولكن ثقافتنا الشعبية غير معادية للديمقراطية، بمعنى أن كل الاستطلاعات التي أجريناها طوال العامين الأخيرين في أهم استطلاع عربي والذي نجريه نحن في المركز العربي للأبحاث على عينة من حوالي 20 ألف مواطن تثبت أن الجمهور العربي يريد ديمقراطية.

الإدعاء بعدم أهلية الحالة الشعبية العربية للديمقراطية

علي الظفيري: هذا يسقط شيئاً مهما دكتور كان يردد طوال السنوات والعقود الماضية يردد من قبل السلطة ويردد من قبل مثقفين أيضاً، إما مثقفين محبطين يعني ديمقراطيين لكن محبطين أو مثقفين ملتحقين بركب السلطة، بمعنى إنه هذا الجمهور العربي هذه الحالة الشعبية العربية غير مهياًة للديمقراطية والدليل الفشل الذي تتعرض له في أكثر من مكان.

عزمي بشارة: مرة أخرى عزيزنا علي، ما في جمهور مهياًة للديمقراطية، اللي ثبت أنا باعتقادي في السنتين الأخيرتين أن النخب السياسة غير مهياًة للديمقراطية وسنتحدث عن ذلك إذا سمحت ولا أريد أن أبحث موضوع الثقافة الشعبية وهل شعبنا يريد ديمقراطية، ليس إذا كان مهياًة.

علي الظفيري: كيف استدليتم عليها دكتور؟

عزمي بشارة: أولاً المسألة ليس إذا كان مهياًة أم لا لأنه النخب تدعي أن الشعوب العربية غير مؤهلة للديمقراطية والقيادات حتى العربية تخاطب.. وهذا ليس الدليل على تعاملها

الاستعماري مع شعوبها، الاستعماري مع شعوبها، أن الديمقراطية لا تصلح لشعبنا، ودون أن تدري هي تتكلم خطاباً عنصرياً استشرافياً ضد شعوبها. نحن بعد أن فحصنا وجدنا أن حوالي والعينة هذه متكررة على فكرة على سنتين، وهي تتكرر الآن نحو 80% قدموا تعريفاً ذا محتوى للديمقراطية من الجمهور بكل الأقطار العربية، لا أريد أن أدخل في مقارنات بين دولة ودولة، ولكن أغلبية مواطني المنطقة العربية يعتقدون أن النظام الديمقراطي الملائم بدرجات متفاوتة لم يطبق في بلدانهم، يقولون الديمقراطية لا تتعارض مع الإسلام ولا مع العروبة ولا مع ثقافتنا ونعتقد أنها تلاءمنا، 82% من الذين أجابوا قالوا تلاءمنا الديمقراطية، 8% فقط قالوا غير ملائمة وأنا أقدر هدول الـ 8% هم النخبة، 82% من الجمهور قالوا الديمقراطية تلاءمنا وبضمنهم في حوالي 90% يعتقد إنه الأمر الجوهرى في الديمقراطية هي الحريات السياسية والمدنية ومبادئ تداول السلطة والرقابة وتبادل السلطات، 90% اعتقدوا إنه هذه العناصر يعني هذا يكاد يكون تعريفاً دقيقاً.

علي الظفيري: يعني بمعنى يؤمن بها مع إدراك لمحتواها الحقيقي.

عزمي بشارة: مع إدراك لمحتواها، أين هي المشكلة؟ عندما نأتي إلى ممارساتها، عندما نأتي إلى ممارستها يعني عندما نوجه السؤال عينياً أكثر حتى نوضح لأنفسنا لأننا لا نكتفي أن الناس تقول أنها تريد ديمقراطية..

علي الظفيري: يعني ممكن أقول وأنا..

عزمي بشارة: وبطبيعة الحال أنا أخشى الاعتقال السياسي، أرى أمامي قضاء فاسداً، فمن الطبيعي أكون معنياً بالفصل بين السلطات وطبيعي أن أكون مع الحريات، وطبيعي أن أكون ضد تكميم الأفواه وضد الاعتقال التعسفي، فبالتالي نأتي لنسأل أكثر إنه إذا فاز بأغلبية الأصوات حزب لا تتفق معه هل تقبل أن يحكمك؟ فوراً تنزل من 90% لحوالي 51-52% في بعض السنوات كان 55% يعني إنه بالممارسة لما تفحص بالممارسة بتلاقي أن الثقافة.. أنا أعتقد أن هذا طبيعي لأنه ما في تمرس، يعني إحنا عندما فحصنا أخ علي وجدنا إنه مثلاً الانتماء الطوعي لمنظمات غير حكومية ولأحزاب سياسية في عدنا 90-95% من مواطني المنطقة الغربية غير منتمين لا لمنظمات طوعية ولا مدنية ولا سياسية.

علي الظفيري: من 80 إلى كم؟

عزمي بشارة: لا من 90 إلى 95%..

علي الظفيري: نسبة عالية جداً.

عزمي بشارة: لم يمارسوا أي نمط من عمل لا في منظمة طوعية ولا جمعية ولا في إتحاد ولا في حزب.

جمهورية عربي متحمس للديمقراطية

علي الظفيري: وبالتالي من هنا دكتور إذا قلنا من العينة 80% يؤمنون بالديمقراطية ولا يرون تعارضاً و90 أو 95% لم يمارسوا أي نشاط في مؤسسات طوعية.. شيء عام بمعنى إنه نتوقع إنه في الممارسة تحدث مشكلة.

عزمي بشارة: بالضبط الآن نحن لدينا جمهوراً يريد ديمقراطية يدافع عن الديمقراطية يتحمس للديمقراطية، في الانتخابات الحالية بدون ديمقراطية أقل من 50% يصوت في كل الأقطار العربية لأنه لا يثق بهذه العملية، يعني أيضاً عندما عرضت عليه عملية تصويتية في ظل أنظمة غير ديمقراطية اعتقد إنها فارغة من المحتوى وأقل من 50% يذهب إلى التصويت، يعني الممارسة حين عرضت عليه لم تكن ذات معنى ومحتوى وجعلته يشكك أصلاً في كل هذه العملية، يعني عرضت عليه ممارسات تجعله يشكك أصلاً في كل هذه المسألة، ولذلك مش معتاد، بالعكس معتاد أن يشكك في الفرق بين القيادات في الفرق بين الأحزاب هذا إضافة لأيديولوجيات عموماً تبنتها الأنظمة سواء كانت أيديولوجيات تقليدية أهلية الطابع أو قبلية أو عشائرية أو أيديولوجيات حزبية شمولية أصلاً تطعن في التعددية وفي الأحزاب وتعتبرها مؤامرة خارجية.. والخ وطبعاً تستخدم شعارات وطنية وقومية ليس من أجل التحرير أو من أجل الاستقلال السيادي فعلاً وإنما من أجل إطفاء أي صوت للمعارضة، في ظل هذا ممتاز جداً إنه الغالبية الساحقة من الجمهور يؤمن بالديمقراطية، الأغلبية الساحقة فوق الـ80% ويعتقد أنها تلاءم بلداننا ويعترض على المقولة الاستشراقية أو السلطوية اللي هي تشبه كثيراً المقولات الاستعمارية أن هذه شعوبنا ما بتجي غير بالعصا وإلى آخره، نفس هذه النخب..

علي الظفيري: هذه عينة من الخليج إلى المحيط؟

عزمي بشارة: نعم.

علي الظفيري: كم دولة دكتور؟

عزمي بشارة: هي أكبر عينة لأي استطلاع الآن يجري في العالم العربي، هي المؤشر العربي نحن نجريه كل عام والعينة تبلغ حوالي 20 ألف مواطن، هذه عينة ضخمة بكل المقاييس.

علي الظفيري: تكررت معكم في عامين؟

عزمي بشارة: نعم، نعم الآن طبعا نحن الآن كنا مشدودين للنتائج التي ستخرج الآن بعد الثورة المضادة التي جرت وتغير في الشعور هذا كله ولكن حتى تلك الفترة وأنا هذا اللي بهمني حتى المرحلة الانتقالية هنالك تطلع كامل ورغبة، طبعا كل مواطن يجر للمحاكم بلا سبب ويعتقل أو يضرب، أنت بتعرف الثورات بدأت من العنف الجسدي، شرطي يضرب المواطن بلا سبب، الإذلال، من يريد الإذلال؟ بطبيعة الحال يعني موضوع الثقافة السياسية أخ علي مهم، فقط إذا أدركنا أول شيء أنها إحدى العوامل التي تفسر مساندة وتعزيز الديمقراطية أو الإعاقة لا تفسر هذا أولا، إحدى العوامل التي بدونها لا نفهم ولكن ليست كل الصورة كما يدعي المستشرقون هذا أمر، وثانيا إذا فهمنا أنها غير مرتبطة بثقافة معينة يعني مثل القول أن المسلمين عقليتهم غير ديمقراطية، هنا تصبح العقلية بديلا لمصطلح العنصر أو العرق، مصلح عنصرى هذا، بهذين الشرطين يعني إذا حيننا أن الثقافة ليست جوهرية هي متغيرة عبر الزمان والمكان والتاريخ ثانيا هي ليست العامل المؤثر في الديمقراطية وإنما هي العامل المعزز أو المعيق عندها تصبح دراسة مسألة الثقافة الديمقراطية بهذا الأسلوب مسألة مهمة يعني بعد أن أخذنا كل هذه الافتراضات بعين الاعتبار..

قبول الآخر المختلف ومحك الممارسة

علي الظفيري: طيب في الممارسة قلت في المسألة حينما طرحتم أسئلة تتعلق بممارسة الديمقراطية انخفضت النسبة إلى 50 أين كانت الإشكاليات؟ ما هي الأسباب التي تؤدي إلى أنه هذا الأمر يعني أو الإيمان يضعف حينما يكون على محك الممارسة؟

عزمي بشارة: قبول الآخر المختلف، قبول الآخر المختلف، في مسألة سياسات الهويات ما زالت تلعب دورا، المواطن عندما تكون له أقلية دينية أو كذا لا لا.. مع المساواة مع إعطاء الحقوق كاملة لكل الطوائف وكذا إلى آخره، ولكن إذا سألته إذا حكمك شخص من طائفة مخالفة فورا ينشأ الهبوط في نسبة تصويت بمعنى أنه ما زالت هنالك ثقافة هويات

سياسية تقليدية موجودة وقائمة في ثقافة المواطنين العرب السياسية وهذا أمر.. أنا مرة أخرى أقول لا يمكن أن يحصل إلا إذا حققت مواطنة فعلية يعني إذا قام نظام ديمقراطي تعامل مع المواطنين بصفاتهم مواطنين وليس بصفاتهم شيعة وسنة ومسيحيين ومسلمين ومش عارف شو وإنما تعامل معهم كمواطنين عندها تدخل ثقافة المواطنة فتقافة المواطنة لا تأتي إذا أنت تقسمي طائفا وتجعل هناك قنوات للتعامل بيني وبين الدولة..

علي الظفيري: سأخشى الآخر وأخاف الآخر.

عزمي بشارة: سأخشى الآخر أنت تفرض عليّ تقسيمات وأنت تتعامل معي على أساس أن أذهب إلى مسؤول الكنيسة لكي يتوسط لدي عند الدولة أو لدى زعيم طائفة أو لدى الشيخ أو لدى زعيم القبيلة..

علي الظفيري: اللبناني على سبيل المثال.

عزمي بشارة: أو لدى زعيم قبيلة، لا هو الآن ينتشر يعني في العراق الآن..

علي الظفيري: بس أنا قصدي النموذج الصارخ.

عزمي بشارة: يجب أن تعرف نفسك طائفا في العلاقة مع الدولة، هذا النمط أو الجهات شمال وجنوب ليس هذا المهم أنه ليست المواطنة هي معيار التعامل بين الدولة والفرد لذلك المواطنة ثقافة تفرض من قبل نظام قائم على المواطنة، الإنسان لا يولد مواطنا يعني كثير من النخب تروح وتقول لك يا أخي العرب متى يصيروا بشر ويصفوا على الدور زي في إنجلترا. الإنجليز ما ولدوا يصفوا على الدور، ما في حدا ولد مواطن، كلهم ولدوا مثلنا، هالأ الدولة تتعامل مع الناس كمواطنين المؤسسات التي ينشأ من خلالها الفرد تعلمه أن يتعامل كمواطن إلى آخره وليس هذه ثقافة فينا أو شيء جنيتك وإلى آخره، وإذا كان هنالك من يتحمل المسؤولية الرئيسية عن ذلك هو..

علي الظفيري: السلطة.

عزمي بشارة: السلطة السائدة بكل مركباتها طبعاً، هالأ أيضا تتحمل مسؤولية بقدر ما النخبة الثانية التي تتملق ثقافة الجماهير، إحنا عندنا مصيبتين، إحنا عندنا السلطة ونخبها التي تركز هذا النوع من التعامل مع الناس اللي هو التعامل الاستبدادي العنفي الغير ديمقراطي الفاسد إلى آخره، اللي بعلم الناس العنف من فوق لتحت، التعامل بالعنف

بالقوة، احترام الأقوى ليس الأعدل ليس الأفهم، احترام المظاهر احترام المراتب احترام الألقاب وليس المضامين إلى آخره، تنزل من فوق لتحت، طبعاً هذا واضح بكل التعاملات الموجودة، ومن ناحية أخرى الثقافة الشعبية المقابلة التي تتملق عبقرية الجمهور وشعبية الجماهير وروح الشعب وكذا، التي أيضاً تساهم بالتخلف عبر تملق غرائز الشارع يعني بالحالتين هذين النوعين من النخبة، النوعان من النخبة يتحملان المسؤولية بدرجات متفاوتة طبعاً، المشكلة الكبرى هي نخب السلطة الحاكمة ومثقفها..

علي الظفيري: إذن إذا ما أردنا الحديث عن ثقافة الجمهور دكتور عزمي نحن نقر هنا أو نثبت من حديثك ومن الاستناد على الاستطلاعات وعلى مواقف الناس وإيمان الناس وأيضا ما نشاهده بشكل يومي أنه لا يوجد مشكلة أساسية في قضية إيمان الناس وتطلعهم نحو الديمقراطية.

عزمي بشارة: ولم تكن ولو عرض عليها خيارات صحيحة في أي انتخابات ديمقراطية عام 2012 واستمرت لتعاملت مع الموضوع بمنتهى الجدية وصوتت لأحزاب وصوتت لرؤساء وأرادت استقلال القضاء ولكن المسألة انقطعت ليس بسبب تخلف الجمهور أو إلى آخره وإنما بسبب عدم ديمقراطية النخب، بسبب أن النخب السياسية التي جاءت وقالت للشباب روحوا على بيوتكم وأنا سلموني الآن لاستكمال المسيرة بعد 2011 هذه شعاراتكم خبز..

علي الظفيري: حرية كرامة إنسانية.

عزمي بشارة: حرية كرامة إنسانية إلى آخره أو خبز أو عيش حرية كرامة إنسانية، هذه كلها أعطوني إياها أنا سأتولى الآن الموضوع، أنتم الآن الشباب أنهيتهم دوركم إحنا الأحزاب.. هؤلاء الذين لم يتمكنوا لا من تمثيل ثقافة ديمقراطية في التعامل مع بعض ولا في تعاملهم مع الدولة وأعادوا إنتاج، استنسخوا نفس طرق تعاملهم بين بعض ومع الدولة التي كانت قائمة بزمن الاستبداد.

ثقافة النخبة وعلاقة الثقافة بالديمقراطية

علي الظفيري: نبحت الآن ثقافة النخبة التي يعني انتهت أو انتهى حديثك لها الآن، أين كانت المشكلة؟ ما هي علاقة هذه الثقافة بالديمقراطية، بمبادئ الديمقراطية وبتحويلها هذه المبادئ أو محاولة تعميمها وشيوعها على الأقل كعناوين في المرحلة الانتقالية؟

عزمي بشارة: أنا أبدأ بالأمر بدون ترتيب الأهمية ولكن ما يبدو لي جوهريا طبعا في أمور كثيرة أستطيع أن أتحدث معك عليها لأن المواضيع كل واحد منها يحتاج إلى كتاب، أنا كتبت مرة عن هذه المسائل في كتاب المسألة العربية وأفردت لذلك فصلا كاملا ولا أعتقد أن الموضوع يحتاج أكثر من ذلك، أولا مفهومنا للدولة نبدأ بهذا، النخب السياسية العربية، النخب الحاكمة ترى أن النظام هو الدولة والدولة هي النظام لا يفصلون بين النظام والدولة ويعتقدون أن معارضة الدولة معارضة النظام هي نهاية العالم، لذلك لا يهمهم كثيرا أن تسقط الدولة مع النظام وإذا هنالك من عارض فهو يتحول إلى غير وطني وخائن وإلى آخره، وهذه نفس الأنظمة اللي اعتقدت إنها انتصرت في 67 مع أنه الدول ضُربت واحتلت لأن النظام بقي، وبالتالي أعتبر أنه دحر العدوان ولم تنتج مخططاته لأنه المخطط الحقيقي لم يكن احتلال الأرض المخطط..

علي الظفيري: إسقاط النظام.

عزمي بشارة: إسقاط النظام وبما أنه نجحنا خالص ما في مشكلة.

علي الظفيري: وهم دمجوا النظام بالدولة.

عزمي بشارة: هذه هو، هذه الآن تم التعامل فيها مع.. كيف تم التعامل مع الصهيونية ومع الكيان الصهيوني، تم التعامل أيضا مع الجماهير العربية طالما النظام موجود كل شيء تمام، الدولة بخير والوطن بخير وأي نقد للنظام هو نقد للدولة، هذه بالنسبة لنخب السلطة بمقابلهم النخب المعارضة ليس لديها مفهوم للدولة فقط مفهوم للشعب، مفهوم للأمة الأمة العربية الأمة الإسلامية الشعب كمفهوم هلامي، ما في مفهوم للدولة والتعامل مع الدولة ككيان سياسي يحتاج إلى برامج سياسية. عندما وقعت الدولة بأيديهم لفترات قصيرة جدا تبين لهم أن ليس لديهم فكرة عن الدول كيف تدار، استمروا بالتصرف كأنهم أحزاب معارضة معتقدين أن المسألة مسألة شعارات سياسية أكثر ما هي مسألة إجابة فورية ويومية على حاجات الناس وبرامج سياسة أيضا. هذا الأمر الأول أعتقد فيه عطب في فهم الدولة ومفهوم الدولة، الأمر الثاني أعتقد وهذا أمر أساسي برأيي أن العقلية التقليدية اللي فيها نرفض المساوي لنا ونفضل أن يحكمنا الآخر، والآن أقول لك شو المساوي لنا والآخر، تم وراثتها من الثقافة ما قبل الحداثية والتقليدية اللي كثير من المثقفين يسخرون عليها بس مع شهادة د نقطة أ نقطة أنا بسميها دكتوراه أو مع زي حديث أو بلغة مفخمة حديثة ولكن بنفس العقلية، أنا أذكر بفلسطين قبل عام 48 بدراستنا لتاريخ فلسطين وطبعا هذا ينطبق على غالبية المنطقة العربية مشكلتنا أننا تورطنا مع

استعمار استيطاني صهيوني لم يتورط معه الآخرون، أن الصراعات التقليدية بين العشائر والعائلات مثلاً في مدينة القدس كانت أشد بكثير العداوات فيها من الحديث مع الإنجليز، يعني كل طرف يحاول أن يجلس مع الإنجليز أو يقنعهم أسهل له من الجلوس مع الطرف الآخر أو تقاسم السلطة معه في مدينة مثلاً، هذه كانت تأخذ شكل صراعات بين عشائر وقبائل وعائلات ممتدة وإلى آخره هذه العقلية التقليدية الاقصائية اللي لا أقبل أنه يحكمني ابن فلان من هو ابن فلان من هي ابن العائلة الفلانية، تخيل هذه العقلية التي اعتقدنا انه طبعاً الاستعمار أسهل يجيئوا الإنجليز يحكمونا ولا ابن فلان؟ مين ابن فلان هذا طبعاً يدل على نقص في تشكل الأمة نقص تشكل الأمة الوطني وبعيد كثير عن مفهوم الدولة، في حالة النخبة العربية الحديثة الكذا يفضل أن يحكمه عسكري ولا مثقف آخر.

علي الظفيري: هذا بالضبط ما حصل في مصر.

عزمي بشارة: طبعاً حزب آخر من النوع اللي تنافس هو وإياه على مجلس الطلبة، هذا اللي تنافس معي على مجلس الطلبة أو على نقابة أطباء وقت يجيء يحكمني لا خيلنا أثينا يحكمنا العسكر وبعدين إذا فلان ليه مش أنا في..

سياسة إقصاء الأحزاب لبعضها البعض

علي الظفيري: وتملقنا العسكر زي ما تملق الإنجليزي والأميركي.

عزمي بشارة: طبعاً العسكر أو لأي شيء المهم أنه حد من مرتبة ثانية من مكان ثاني رفض المساوي الشبيه، في طبعاً عقد نقص بعدين يرافقها عملية مازوخية بمعنى رفض المتواضع رفض من يتعامل بعفوية أو يكون بسيط أو يتعامل مع الناس بعفوية والتفضيل، في مازوخية في سلوك النخبة، تفضيل القوي الذي يقمعي أشعر بارتياح أكثر معه اشعر بأمان أكثر معه..

علي الظفيري: في أمثلة دكتور؟

عزمي بشارة: في أمثلة كثيرة.

علي الظفيري: أعطني مثال دكتور.

عزمي بشارة: في أمثلة كثيرة أصلاً نحن المثقفين نعاني من هذه المشكلة يعني أنا أحكي

لك شيء بسيط لو عزمي بشارة يكتب هذه الكتب بالإنجليزي وجايبها من برنستون، حتى لو ما يقرؤونها حتى لو ما يفهموها يصير موضوع ثاني بالمرّة، أما إذا كنت أكتب بالعربية وجاي من نفس الفئة وإلى آخره صعب يعني نحن نعاني منها على هذا المستوى فما بالك بالسياسيين اللي كانوا يتنافسوا مرة على مجلس الطلبة وكمّلوا التنافس على إدارة دولة بعقلية مجالس طلبة أن أحدهم ينفي الآخر ويقصي الآخر بعدين يروحوا يتعاونوا مع النظام القديم كل واحد ضد الآخر مع النظام القديم يعني عملياً تسلّموا أمانى.

علي الظفيري: حدثت في مصر دكتور بالضبط يعني.

عزمي بشارة: حدثت في مصر.

علي الظفيري: بالتحديد يعني كما تقول من كل الأطراف.

عزمي بشارة: إيه وحتى في سوريا لو النظام مش إقصائي لهذه الدرجة أكيد كان حصل، يعني النظام بسوريا مصيبتنا معه إقصائي لدرجة ينفي الآخر لدرجة يعني بالقصف بالطائرات إلى آخره لا يمكن أصلاً أي تواصل معه غير قادر لا على الإصلاح ولا على التواصل وإلى آخره، لا يتحمل رجال من داخل النظام إذا قالوا كلمة، ولكن إذا ترى سلوك المعارضة السورية اللي في الخارج اللي بعيدة عن القصف إلى آخره كيف فجأة يُنسى كل القتل والموت والدمار ويصير خصمي هذا في الائتلاف فلان مشكلتي فلان، يُنسى الخصم لأنه بين المتساويين ما في أي قبول لبعض لذلك يطلب دائماً مستبد من الخارج استعمار دكتاتور، دكتاتور آخر نصنعه، العسكر، سفير الدولة الفلانية بمصر طبعاً هذا النخب السياسية كانت غير قادرة على القبول بالتعددية والحسم، طيب ما في ثقافة ديمقراطية لذلك، وأنا مش مطمئن لثقافة الآخر يعني أنا مش مطمئن أنت أخذت الأغلبية مش مطمئن لثقافتك أنك تجيء وتحكي وتقمع الحريات.

علي الظفيري: أو تحكم بشكل ديمقراطي.

عزمي بشارة: أو أنك تحكم بشكل ديمقراطي، هذا ABC عند أmond أند فيربا اللي يسموه trust الثقة بين النخب هي ABC أنه أنا أثق أنك تعطي جزء من الثقافة الوطنية أنت عندما ستحکم ستحترم القيم الديمقراطية المقبولة علينا جميعاً طبعاً لا أثق فيك، طيب إذا ما في ثقة متبادلة وما في ثقافة ديمقراطية نستعيض عنها بأحد أمرين: المساومة bargaining نعمل صفقات مع بعض حتى ننفذ الثورة نعمل صفقات نتقاسم السلطة أو نعمل وحدة وطنية أنا لا أثق فيك طيب خيلنا ما حد يحكم الثاني لا ثقافة وحدة وطنية ولا

ثقافة مساومة bargaining ولا واحد مأمّن للثاني إنه يحكمه فيصير شرعي يرجع للنظام القديم بالتلاحم مع نخبه.

علي الظفيري: يصير الحل هو أصلاً.

محاولات شيطنة الثورات

عزمي بشارة: والنخب التي تأتي بعقلية انتقامية Revenges من شباب الثورة ومن كل الثورة ولا تأتي بانقلاب تأتي بثورة مضادة شاملة تعد، شو الفرق بين الانقلاب والثورة؟ الشارع، الشارع يعني انقلاب داخل النظام الثورة تجند الشعب من خارج النظام، ثورة مضادة انقلاب على الثورة ولكن تورط الشارع معها يعني تأتي بخطاب الثورة بخطاب الجماهير بالتحشيد بالتعبئة تختلف عن الانقلاب العادي تعبئ الشعب كيف بدك تعبئه؟ شعب بده حرية بده مساواة ذاق طعمها لسنة وهي أكثر سنة كان فيها حرية في تاريخ البلاد.

علي الظفيري: في عهد محمد مرسي

عزمي بشارة: لا وبتونس الآن أكثر سنوات فيها حرية بتاريخ البلاد لكن ما فيها أمان ما فيها استقرار انتبه.

علي الظفيري: مصر مثال.

عزمي بشارة: في تونس وآخرين على فكرة العالم العربي الآن في هذه المرحلة يعيش أكثر المراحل التعددية رغم كل عدم الاستقرار، الثمن هو عدم الاستقرار سأحدث عن ذلك، الآن هذا الشعب لا يريد حكماً تعسفياً لا يريد الاعتقال شعب تنسم الحرية إلى آخره، في تعددية رأي في حرية صحافة يستطيع أن يشتم الرئيس كما شاء لا أحد يحاكمه إلى آخره، كيف بدك ثقافة الكراهية مخاطبة الغرائز نظريات المؤامرة الشائعات المغرضة إضافة إلى ذلك تخييره بين..

علي الظفيري: استقراره..

عزمي بشارة: الديمقراطية والاستقرار، يا ديمقراطية يا استقرار، يا حرية يا عيش، مش عيش وحرية طبعاً أنت شو تختار شو تتوقع طبعاً كل الناس لامت المصريين التوانسة، شو تتوقع؟

علي الظفيري: أنا شخصياً أختار الاستقرار إذا كان لي خيار..

عزمي بشارة: إذا تجيء وتحطه كل يوم كل يوم آه فوضى يقول لك رجعتي على الاستقرار بدي أكل خبز.

علي الظفيري: حتى الناس مع الثورة السورية وما حدث سلوك النظام قالوا والله الوضع الآمن أفضل.

عزمي بشارة: العقلية المقلوبة التفكير المقلوب شو يصور؟ مش أنه النظام وضع الناس أمام الخيار يا إما تطالبوا بالحرية يا إما حرية يا إما استقرار يا إما ديمقراطية يا كذا يا أقصفكم بهدم المنازل عليكم وإلى آخره يجيئوا يحملونها للثورات، والمستجد شو؟ نظام كلها ما نعرفه لكن الثورات هي الجديدة التمرد عليه هو الجديد، إذن الثورات مسؤولة عن عدم الاستقرار مسؤولة عند كذا، هذا الوعي المقلوب اللي يضعه عند الناس هو في الواقع سلوك النظام خير الشعوب إنه يا كذا يا كذا طبعاً الشعوب اللي عندها الثقافة الديمقراطية والمطالب ديمقراطية وضعت أمام خيار إما العيش أو الديمقراطية وإما الفوضى أو..

علي الظفيري: الحرية.

عزمي بشارة: أو النظام القائم، فيختاروا النظام القائم، دائماً اللعبة تلعبها الأنظمة ولكن هذه المراحل ردادات قصيرة في التاريخ هذا اللي عنده هذه الأجوبة اللي مستعد مؤخراً المستعد لقتل الأشخاص مستعد يقتل الشخصيات اللي مستعد يقتل Persons يقتل Characters يقتل الشخصية عبر الدعاية والشائعات وكذا، هذه فترة قصيرة عمرها قصير لأنه القضايا الكبرى اللي بسببها خرجت الثورات اللي هي العيش نفسه ما هي راح تشملها كمان راح يكون لا في حرية ولا في عيش، العيش يعني العيش الكريم الخبز الحرية الإذلال، الخضوع للأجنبي، قضية فلسطين ولا شيء انحل.

علي الظفيري: طيب دكتور إذا أذنت لي أوقف مع فاصل لأنه تأخرنا على الفاصل، مشاهدنا الكرام فاصل قصير بعده نستأنف النقاش في ثقافة النخبة السياسية الديمقراطية في عالمنا العربي، كيف أسهمت في تعثر عملية التحول الديمقراطي التي يرى الدكتور عزمي بشارة ضيف هذه الحلقة أنها مؤقتة وطبيعية وأنها تشبه حالات كثيرة وسيتم تجاوزها كما يقول، بعد الفاصل ابقوا معنا.

[فاصل إعلاني]

النخبة ومسؤولية تعثر المسار الديمقراطي

علي الظفيري: أهلاً بكم مشاهدينا الكرام من جديد في العمق يبحث الليلة الثقافة السياسية الديمقراطية في العالم العربي وعملية أو تعثر عملية التحول الديمقراطي، أثر ثقافة الجمهور وثقافة النخبة أي منهما يتحمل نصيب أكبر من مسؤولية التعثر مع الدكتور عزمي بشارة مدير المركز العربي للأبحاث مرحباً بك دكتور مجدداً.

عزمي بشارة: أهلاً.

علي الظفيري: أنت كأنك برأت الجماهير بإقرارك في أول الحديث دكتور، نستكمل الآن، وأقصد التبرئة ليست بمعنى أنه لا يوجد مسؤولية بمعنى أنه هذا أمر طبيعي حتى عدم الإيمان أو الممارسات الضعيفة هي طبيعية ومسألة اعتيادية تكون في كل العالم.

عزمي بشارة: حتى التخلف الاجتماعي والثقافي نتاج تاريخي طبيعي، نحن نتعامل معه كمعطى يعني كل ما أقول أنا لا أبرئ الجماهير، أقول أن الجماهير ليست متهما أصلاً لأبرئه أو أدينه أنا أتعامل مع هذا كوضع معطى في هذا الوضع المعطى نريد أن نبني حياة أفضل نظام أفضل نظام أعدل إلى آخره سميّه ما شئت.

علي الظفيري: ويعاد النظرة أيضاً العنصرية التي يكررها يعني الاستشراقية يعني أنه هذا الجمهور والتي تتبناها الأنظمة ونخب الأنظمة أنه هذا الجمهور العربي هذا الإنسان العربي لا يستحق الديمقراطية غير مؤهل للديمقراطية، الآن ما هي سمات هذه النخب السياسية الأحزاب السياسية التي تولت المسؤولية أو كان يعني على عاتقها مسؤولية إدارة المرحلة الانتقالية وإتمام عملية التحول الديمقراطي.

عزمي بشارة: علي أنا لأنك ترديني أن أتحدث في حلقة خاصة عن موضوع الإسلاميين والعلمانيين ونظام الحكم سألتك هذا الموضوع سأقول جملة واحدة فقط عن التيار الإسلامي الذي طرح في زمن الاستبداد كأنه هو البديل الوحيد للاستبداد وبالتالي خوفوا الدنيا يا الاستبداد يا الإسلاميين، التيار الإسلامي لم يكن ديمقراطي ولا متبني النظرية الديمقراطية وبتسميته مع حكم إسلامي خلافة غير خلافة جمهورية إسلامية Whatever في جمهورية إسلامية موجودة الآن وتسمي حالها جمهورية إسلامية يحكمها رجال الدين في إيران، وفي نظام إسلامي ثاني في أفغانستان طالبان، وفي نظام

إسلامي قام بالسودان ولا واحد من هؤلاء قام بانتخابات، لذلك الحديث أنه الإسلام يأتي عن طريق.. ولا أي نظام إسلامي من الأنظمة الموجودة التي تعمل الآن أمامنا أو الوحيد فيها الآن قائم ويحكمه رجال الدين اللي هو إيران لم يقم بانتخابات ديمقراطية قام بثورة، ثورة شعبية، الآن الانتخابات الديمقراطية حتى تفرز تيار إسلامي يحكم اضطر هذا التيار للدخول في عمليات إصلاح ذاتي طويلة وأن يقبل بالديمقراطية كخيار دعني أقول أداتي instrumental للوصول للحكم وهذه التهمة إنه هو أخذ من الديمقراطية قضية إنه بالإمكان الوصول للحكم..

علي الظفيري: بالانتخابات.

عزمي بشارة: إذن لماذا لا أتبنى الديمقراطية أخذ عنصر الانتخابات وبقي التشكيك به إنه مسألة الحريات مسألة قيم الديمقراطية الأخرى قائمة من كل هذا، طبعا في معالجات كثيرة إلى آخره ما رأيناه في سنة الحكم الانتقالي لم يكن يعني نظام شمولي قمعي مش عارف شو إلى آخره طبعا ارتكبت أخطاء وكذا ولكن على الأقل ظهر إنه بعض المراجعات التي صنعت مثل كتاب الحريات العامة في الإسلام للغنوشي وآخرين واضح إنه البعض مقتنع فيها واضح إنه التيار لا أريد أن أدخل فيه إن شاء الله المرة القادمة نتعامل عليه نتعامل معه بشكل جدي أكثر بكثير، التيارات القومية وهي في المعارضة عقدت الندوات والمؤتمرات وكذا حول الديمقراطية وعن الكتلة التاريخية التحالف القومي الإسلامي وإن الكتلة التاريخية التحالف القومي الإسلامي هو الذي سي جلب الديمقراطية تبين في أول امتحان أنها ترى بالديمقراطية مؤامرة غالبيتها طبعا في كثير قوميين ديمقراطيين وكانوا في الصف الصحيح كثيرين في..

علي الظفيري: كثر أو قلة دكتور؟

عزمي بشارة: أنا بتعرف لأنني بعرف الأفراد أعتقد..

علي الظفيري: ربما لا تعرفهم.

عزمي بشارة: أنا اعرف أفراد أعرف..

علي الظفيري: بس أنا أسألك على صعيد النخب..

عزمي بشارة: على صعيد النخب أنا أعتقد التيارات المنظمة تصرفت بشكل سلبي.

علي الظفيري: سلبي.

عزمي بشارة: أما الأفراد كثيرون جدا..

علي الظفيري: نعم

عزمي بشارة: الذين هم قاموا بمراجعة لتاريخ التيار القومي في الحكم عن طريق الانقلابات العسكرية والأيديولوجيات إلى آخره بعد تجارب مثل العراق وسوريا والتجربة الناصرية وإلى آخره كثير صنعوا نقد ذاتي تبين إنه النقد الذاتي على مستوى التنظيمات كان كلام في النهاية كانوا مستعدين أو اعتقدوا إنه النظام القديم أو أجهزة الأمن أو العسكر أقرب من حزب سياسي.

علي الظفيري: منافس.

عزمي بشارة: منافس، كان وإن ساهم في الثورة أو ساهم بدرجة معينة في خلاف على هذا أنا لا أريد أن أدخل في هذا النقاش، وهذا موضوع يعني مهم العودة إليه لأنه الحقيقة بعض المنظرين كتبوا بشكل جيد في الستينات والسبعينات والثمانينات وبعثوا حول هذه التجربة تبين أن هناك فجوة كبيرة جدا بين النظرية والتطبيق وإنه مفكري التيار الذي كتبوا عن هذا لم يقرأ النشطاء لم يقرؤوا لهم يعني في كان شيء على المستوى النظري على المستوى العملي بكل هتاف بكل صورة بكل رمز بكل إيديولوجية بالشعار، الشعار الأجوف في كثير من الحالات اللي في فلسطين تتحول لأداة يعني أسوأ ما ممكن تعمله مع فلسطين إنه تستخدمها كأداة.

علي الظفيري: مثلما عملت الأنظمة القومية في العراق وفي سوريا..

عزمي بشارة: لا بس أنا متأكد المسألة القومية في العراق وفي سوريا وفي مصر أنا أقصد هذا بكلامي كانوا فعلا مع فلسطين كان فعلا يحبونها هذه كانت قدراتهم ومداركهم أنا لا أشك أو أشكك بوطنية عبد الناصر ولا وطنية صدام حسين لا أشكك بوطنيتهم أنا أعتقد إنه هذا اللي يقدروا عليه كانوا بس الآن من يستخدمها بهذا الشكل الأدوات لتبرير قتل الآلاف وتشريد الملايين في مشكلة في عطب أخلاقي قيمي يعني مش وفي عطب متعلق في إضرار في قضية فلسطين نفسها لأنه هذا ما يحرر ولا بحياته حرر فلسطين ولا عمل شي لفلسطين لما إحنا كنا نشغل لفلسطين يعني، وفي بعضهم كان يتهمنا بالتطرف في موضوع فلسطين في شيء في عطب أخلاقي حقيقي إنه فجأة تذكر فلسطين

في سياق الدفاع ضد الديمقراطية إلى آخره فهنا في مشكلة حقيقية بدها دراسة صحيحة ومعقدة الحقيقة لأنه أنا أعرف إنه الكثير والكثير من مؤيدي هذا التفكير ناس مخلصين كانوا في تفكيرهم وصدقوا وساهموا أو شاركوا بالثورات عن صدق يعني أرادوا المشاركة في تغيير النظام ثم لديك القسم الليبرالي اللي أعتقد اللي تبين إنه Ok أنت ليبرالي مش ديمقراطي أنا افهم في التاريخ ليبراليين مش ديمقراطيين- أخي علي- التاريخ فيه ليبراليين مش ديمقراطيين، التاريخ مليء بهذا في القرن التاسع عشر أستطيع إنه أعطيك إنه مع الحريات ومع حقوق المواطن وكذا ولكن لا يؤمن بالأغلبية بحكم الأغلبية وأعتقد الأغلبية جاهلة ماشي، بس هذا مثل جون ستيوارت وطبعا جون ستيوارت صار بالآخر ديمقراطي وحتى مع مسحة اشتراكية اللي هو جيمس ميل أو آخرين عنده حساسية لموضوع حقوق الإنسان عنده حساسية للقتل في الشوارع.

علي الظفيري: ما هو التيار الليبرالي عندنا ما عنده حساسية..

عزمي بشارة: هنا المشكلة فقد تبين لي أنه لا ديمقراطي ولا ليبرالي بمعنى طبعا مرة أخرى في ليبراليين حقيقيين موجودين وأبطال..

علي الظفيري: بكل تأكيد.

عزمي بشارة: ومثلما في ليبراليين حقيقيين ديمقراطيين فعلا، أنا أتحدث عن برزوا تحت هذه التسميات في وسائل الإعلام أثناء الثورة المضادة طيب هذا معناته ما مر لا بمرحلة ديمقراطية ولا هو ليبرالي حقيقي ايش بطلع بالآخر الموضوع بالنسبة إله؟ قسم كبير من هؤلاء يعني الموضوع هو نمط حياتهم الشخصي الفردي يعني style of life يعني كل الموضوع هذا إنه التضحية بالناس والناس تحصد بالآلاف والملايين تحصد بالآلاف بالشوارع أو تشرذ بالملايين إلى آخره لماذا؟

علي الظفيري: ما إله قيمة.

عزمي بشارة: حتى يكون أنا نمط حياتي محمي ونمط حياتي مين بحميه من الأغلبية..

علي الظفيري: السلطة.

عزمي بشارة: أو الاستعمار يعني هؤلاء أنفسهم اللي في نفس العقلية كانوا مستعدين يتعاونوا مع الاستعمار لحماية الأقلية ونمط حياتها من الفلاحين ومن كذا أو مع الاستبداد، مش قادر يخرج للحظة هذه النخبة من إنها أنا كيف.. ما بقدر أن أبقى

طيلة حياتي في عداوة مع الأغلبية في نهاية الأمر الحل الوحيد هو إنا إحنا نتفق بين بعض، النقطة اللي بدي أجيء لها على قواعد اللعبة الديمقراطية ومبادئ الديمقراطية التي تسمى الثقافة الديمقراطية وعندما نتفق نحن عليها نكون قادرين عبر الحكم أن ننشرها وأن نتفق الناس بها لأن الناس لا تتفق بها إلا عبر الممارسة لا أستطيع أن أطلب أنه الناس تكون متقبلة لنمط حياتي الشخصي مثلا الحريات الشخصية عموما كشرط قبل أن نبدأ العملية الديمقراطية كلها، هذه عملية تتم إذا النخب الديمقراطية اللي فعلا ديمقراطية تتوافق في وإنما على الثقافة الديمقراطية وتستطيع بس إذا أنها توافقت أن تتخلص من النظام القديم المعادي للديمقراطية أو تجبره مش إنه تتخلص منه على الأقل تجبره أن يقبل بالديمقراطية مش إنها تتحالف أو كل طرف يتحالف معا وتقوي، بعد ذلك نستطيع أن يقول يفرض احترام مبادئ ديمقراطية أيضا على الناس يفرض بواسطة مبادئ الدستور بواسطة اللعبة الديمقراطية بواسطة الأمن إذا لزم بواسطة فرض القانون إذا لزم أما لا يمكن قبولها هيك بهذا الشكل الهلامي وأظن طيلة الوقت جالس ومرعوب أنه أنا بدي شاويش ضابط في أي جلسة خاصة بروي عليه النكت وعلى عدم فهمه إلى آخره ولكن أريد أن يحميني وأقبل واحد معا دكتوراه مثلي من إنه يجيء يحكمني بالانتخابات.

انتهازية التيارات الليبرالية

علي الظفيري: فقط عندي إضافة يعني بس تنويه في قضية التيار الليبرالي أو ما برز منه المسألة كنا نتخيلها أيضا ليبرالية اجتماعية سماها الدكتور خالد دخيل يعني في السعودية دائما يكرر هذه التسمية الليبرالية الاجتماعية فقط في السلوك وفي الحياة.

عزمي بشارة: الحريات الشخصية.

علي الظفيري: الحريات الشخصية لكن هي ليست المسألة هذه أيضا لدى هذا التيار الانتهازي مصالح مرتبطة بالسلطة أحيانا مصالح طبقية وكذا وبالتالي يحافظ عليها يعني هي مسألة واعية للتحالف معه.

عزمي بشارة: أحيانا أكثر من هيك- علي- هذه من دراسة معمقة قريبا سنصدر شيء حول مصر معمق مثل اللي أصدرناه حول سوريا إنه في نخب سياسية كانت تتعارض لأنه هي لم تختار أن ترث هي بمعنى في نخب سياسية كانت مثلا حول ما نقول زيد العابدين أو جمال مبارك أو علي عبد الله الصالح وإلى آخره جمع حوله نخب سياسية في

فترات كثيرة تظاهروا بالإصلاح سيف الإسلام مثلا تظاهر بالإصلاح جمال مبارك تظاهر بالإصلاح دائما كانت التوريث..

علي الظفيري: كلهم كانت موجة يعني..

عزمي بشارة: التوريث مع إصلاح فكان هذا يستقطب مجموعة كبيرة من المثقفين حوله بحجة إنه ما في طريق ما في ديمقراطية إذن خلينا نلتف حول جناح النظام الذي يريده الإصلاح فتجد مثقفين آخرين عادوهم من جيلهم يعرفوا بعض شخصا إنه ليش مش أنا فليش أنا..

علي الظفيري: قصة حظوة يعني..

عزمي بشارة: وبالتالي يجد هؤلاء أنفسهم الآن اللي اعترضوا هذه النخبة اللي اعترضت على تلك النخبة لأنه ليش مش أنا متحالفة مع أخرى هذه ليست نخب ديمقراطية.

علي الظفيري: طيب هل فوتت هذه النخب السياسية العربية دكتور فرصة أن يتم هذا التحول الديمقراطي بشكل أيسر مما نحن عليه الآن وفرصة إنه نبتعد عن هذا المأزق وحالة الكراهية التي نعيشها اليوم، حالة القتال قتل المصريين قتل.. في أكثر من مكان يعني في سوريا في اليمن.

عزمي بشارة: جرت محاولات حتى في تونس، جرت محاولات حقيقية في تونس لولا وعي الشعب التونسي وعي فئاته لا يريد عدم الاستقرار لا يريد الانقلاب يريد إكمال المسار الديمقراطي إلى نهايته ولكن جرت محاولات حقيقية في تونس الحقيقة إنه أنا أعتقد نعم فوتت فرصة ولكنها بالتالي تعرف فوتت فرصة شو؟ هذه عملية تاريخية طويلة يعني فوتت فرصة مرة ولكن هنالك فرص أخرى وأنا أعتقد الكثير من النخب زملائي أصدقائي السياسيين والمثقفين إلى آخره الآن يراجعون أنفسهم، ما أنت عارف في قسم تحالف والآن تحالف مع النظام القديم والآن ينظر إنه أيضا الآن قد يتحول الضحية المقبلة، وأنا حذرت وأنا آخر مقابلة إلي معك قبل ثمان أشهر كنت أحذر مما سيحصل يا ريت حدا يرجع يشوف، لما كانت الناس.. كنت أحذر مما سيحصل إنه هذا يبدأ هكذا ثم يجتاح قطاعات أكثر فأكثر واللي أنا أعتقد إنه القوى الثورية الديمقراطية جزء واسع من المجتمع الذي يرى إنه لن تحل المشاكل التي بسببها نشأت الثورات، الثورات مش هواية ولا إحنا على هوى الثورات- علي- ويا ريت كل الأنظمة يصير

إصلاحها بالإصلاح مش بالثورات.

علي الظفيري: ويتهموك إنه أنت توزع الثورات وتثور الناس..

عزمي بشارة: لا، لا بالعكس ما هي الناس ما تتذكر مثل إنه يفكروا إني أشتغل بالجزيرة هذا ما فيه فائدة، نحن لا يجوز أن يعني حتى أن اعلق على هذا لأنه الكلام ما بخلص واضح إنه أحنأ الآن في حالة صراع والناس اللي في صراع بدها تعمل كل ما بإمكانها للنجاح فيه ضد اللي تعتقد إنه يهددها تحديدا الأفكار التي تهددها ولكن ما أريد قوله هنا أخ علي إنه..

علي الظفيري: لو حدث الإصلاح..

عزمي بشارة: لو حدث الإصلاح كنا ولو كان.. حتى مش لو حدث في الإصلاح لو كانت هنالك فسحة بالإصلاح لكان مجرم كل من لم يستغل فسحة الإصلاح، ولكن في حالات لم تكن هنالك فسحة للإصلاح وفي حالات وكل الحالات الجماهير لم تستشر أحد وخرجت و عليك أنت كمتقف أن تحدد موقف الآن إذا حددت موقف مع الجماهير وكانت لديك الثقافة الديمقراطية تنشأ المعادلة التي تمكن يعني نخب ديمقراطية مع جماهير ثائرة من أجل الديمقراطية هذه المعادلة تمكن من التحول الديمقراطي مشكلتنا أنه باعتقادي المشكلة الرئيسية إنه جزء أساسي من النخب تولى الموضوع دون أن يكون ديمقراطيا.

علي الظفيري: أشكرك دكتور عزمي بشارة مدير المركز العربي للأبحاث، الأسبوع المقبل أيضا أستضيف الدكتور عزمي للحديث عن العلمانية والدين والديمقراطية وكل هذه الإشكاليات المرتبطة بهذا الموضوع صورة وهيكل الدولة، إلى اللقاء في الأسبوع المقبل تحيات كافة الزملاء، شكرا دكتور.